ألفاظ البصر الأصلية في ســـورة النمل – دراسة تحليلية في إطار الدلالة المعجمية.

د. فاطمة الشارف "محمد أبو نعجة " بلعيد
كلية التربية- قصر بن غشـــير- جامعة طرابلس.

الملخّـــص:

يقدّم هذا البحث مفهوم المعجمة وهندسة الحقول الدلالية في ضوء دراسة الألفاظ الدالة على حاسة البصر في إطار الدلالة المعجمية، ويتعرض لسمات الأفعال وخصائصها؛ كالحركة والسكون والمراقبة والإرادة والاستمرار... ثم لأفعال حقل الحواس عامة، وحقل البصر خاصة. ويتناول المقارنة من حيث السمات والخصائص الدلالية والتركيبية بين أفعال الحواس الأساسية الإيجابية الظاهرة (نظر، أبصر، رأى)، والاستعمال التداولي لها: في مجال اللغة العربية عامةً، وفي نطاق سورة النمل خاصةً.

Conclusion:

This research introduces the concept of lexicalization and the geometry of semantic fields in light of the study of words that indicate the sense of sight within the framework of lexical semantics, and addresses the features and properties of verbs. Such as movement, stillness, observation, will, and continuity... Then for the actions of the sense field in general, and the field of sight in particular. It deals with the comparison in terms of semantic and syntactic features and characteristics between the apparent positive basic sense verbs (look, see, see), and their pragmatic use: in the field of the Arabic language in general, and in the scope of Surat An-Naml in particular.

الكلمات المفتاحية :

الدلالة المعجمية – المعجمة – الحقول الدلالية – حقل الحواس – سورة النمل

تقديـــــــــــم:

تندرج مادة البحث ضمن الحقول الدلالية للألفاظ وتطبيقاتها، ويتناول حقلاً فرعياً من الحقل العام "الحواس"، وهو حقل "البصر"، الذي يشتمل على ألفاظ البصر الأساسية والثانوية وأضدادها؛ وهي: النظر، البصر، الرؤية، الأنس، الإحاطة، التفقد، ارتداد الطرْف، العمى، والعمَه. ومجال التطبيق -هنا- هو الألفاظ الأساسية الإيجابية الظاهرة (النظر والبصر والرؤية) في سورة النمل[1]، في مقابل ألفاظ البصر السلبية والثانوية والمقدرة التي استقلت في بحث آخر (ينظر جدول-1)، وقد وردت الأصلية في ثمانية عشر سياقاً على النحو التالي: المطلب الأول: لفظ النظر. عدد 8 (1-8) ،و المطلب الثاني: لفظ البصر. عدد 3 (9-11)، و المطلب الثالث: لفظ الرؤية. عدد 7 (12-18)

- جدول(1) عرض الألفاظ الدالة على البصر في سورة النمل وتصنيفها وعدد سياقاتها -

ألفاظ البصر في سورة النمل (28)					
الأصلية (أساسية إيجابية ظاهرة) (18)			الفرعية (10)		
النظر (8)	البصر (3)	الرؤية (7)	السلبية (3)	الثانوية (4)	المقدرة (3)
			- العمى (2) - العمه (1)	- الإيناس - الإحاطة - التفقد - ارتداد الطرف	- تخرج بيضاء من غير سوء - لا يحكمنكم... وهم لا يشعرون - حدائق ذات بهجة

الإطار النظـــــري:

الأنجع والأجدى نفعاً في دراسة الألفاظ الواردة في مدونات نصية هو تناولها في المستوى الذريعي (التداولي)، وبما أن التداولية هي دراسة معاني الألفاظ حال استعمالها في سياقاتها بغض النظر عن معانيها المعجمية الأصلية، فإن استعمال الألفاظ المنضوية تحت هذا الحقل ينقسم بعدة اعتبارات:

- فثمة الاستعمال الإيجابي والاستعمال السلبي، سواء أكانت السلبية مُمعجمة في اللفظ أصالةً، أم مكتسبة من الصرافة والتركيب. ويجدر التذكير -هنا- أن السلبية الممعجمة ليست في نطاق هذا البحث.
- وثمة الاستعمال الحقيقي وضده المجازي ، أو بعبارة المصطلح اللساني الحديث "الاستعاري".

ـ ثم يرتبط به الاستعمال الحسي والمجرد ؛ فالحسي: هو الدلالة على الشيء أو الحدث الذي يدرك بالحواس، أما الاستعمال والمجرد : فهو الأمر الداخلي الذي يدرك بالذهن، وهو بالضرورة منقول عن حقل المحسوسات.

وتنبغي الإشارة هنا إلى بعض اصطلاحات اللسانيات الحديثة في التحليل الدلالي والمعجمي بخصوص البنية الدلالية التصورية: فالوضع [- حركي] حالة، و[+استمراري] سيرورة، و[-استمراري] حدث، والسيرورة المراقبة هي النشاط، والحدث المراقب هو الفعل (المقصود به ما يقابل "act" لا "verb")، والوضع الحركي المراقب هو العمل[2].

وبخصوص البنية التركيبية (الحملية) التي تسمى في بعض الأدبيات (بنية محمول-موضوع)، أو (بنية الحدث)، يجب توفر "المحور" في كل جملة ، وهو –في الوظيفة النحوية- إما الفاعل أو المفعول. أما بالنسبة للدور الدلالي: فإذا كان مع فعل الاستمرار والسيرورة والنشاط والحركة في فضاء حسي أو تجريدي يسمى الفاعل "المنفذ"، وهو المحور، ويسمى المفعول "الضحية"، أما في فعل الحالة والحلول والسكون والمعاناة فيسمى الفاعل "المعاني"، والمفعول "المنبّه"، وهو المحور. وفي كل منهما إذا اتّسم المحمول بخاصية الحركة (حسية أو تجريدية)[3] فاتجاه التأثير الحركي (المسار) يبدأ من المحور الذي يسمى هنا "المصدر" وينتهي المسار بـ"الهدف"، فمصدر الحركة قد يكون الفاعل أو المفعول، وكذا هدف الحركة (ينظر خطاطة-2).

ـ خطاطة(2) تمثيل البنية التركيبية والبنية الدلالية للفعل ـ

ما يدل على: حركة/ نشاط/ استمرار/ سيرورة مراقبة ← محمول تنفيذي = حدث تنفيذي	المصدر ← اتجاه التأثير ← الهدف المنفّذ (المحور) الضحية	
↑ **الفعل (المحمول)** ↓	↑ **الفاعل (الموضوع1)** ↓	↑ **المفعول (الموضوع2)** ↓
ما يدل علي: معاناة/ حلول/ سكون/ حالة غير مراقبة ← محمول نفسي = حدث نفسي	المُعاني الهدف ← اتجاه التأثير ← المصدر	المنبّه (المحور)

في مَعْجمة أفعال الحواس:

المعجمة في أبسط عبارة هي "سيرورة يتم بمقتضاها تحويل مجموعة من الصرفيات إلى وحدة معجمية"[4]، واللغات الطبيعية، سواء المعيارية أو الدوارج، "لا تُمعجم بأي شكل من الأشكال، ولا تهندس الحقول بصورة اعتباطية كلياً"[5].

والمعجمة تحدث في التركيب لا قبله [6]، ولذا، فإن للفواعل والمفاعيل وأحوالها وهيئاتها دور بارز في معجمة الأفعال[7]، أي: في تكوين دلالاتها في سياق معين؛ فإذا قارنا بين:

أ- **(فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ)** النمل: 10. أي : رأى موسى- **عليه السلام** - عصاه تهتز.

ب- **(فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً)** النمل: 40. أي : رأى سليمان **- عليه السلام -** عرش بلقيس مستقراً.

نجد أن كـلاً من جملة "تهتز" وصفة "مستقراً" تعرب في النحو حالاً، لكن كلاً منهما أكسب الفعل جزءاً من معناه؛ فالفعل "رأى" في (أ) فعل سيرورة، وهي المرحلة التي يستمرّ فيها إدراك الموضوع في شكله الخارجي (ممتدّ زمنياً)، فهو بمعنى المشاهدة في العربية المعيار المعاصرة، ورأى في (ب) فعل إتمام ، وهي النقطة التي تلتقي فيها العين الانطباع البصري الأول.

ومن ناحية أخرى ، فالمعجمة تتعلق بتبئير أحد مكونات المعنى (أي : جعله بؤرة المعنى ومحوره) أو إضافة مكون جديد، وكذلك حذف بعض المكونات في سياقات معينة أو تهميشها.

وفي سعي اللسانيين نحو بناء نظرية للدلالة المعجمية بدراسات مقارنة بصدد بلورة الكليات النمطية التي تقوم عليها المعجمة في اللغات الطبيعية توصلوا إلى[8]:

1- أن الأفعال، بصفة عامة ، ذوات قابلة للتحليل، وتتألف من عناصر أولى (أو سمات)، كالحركية والسكون والمراقبة والإرادة والاستمرار...[9] ، وأن أفعال الإدراك الحسي (البصر، السمع، اللمس، الذوق، الشمّ) تشكل حقلاً دلالياً قائماً على سمات دلالية خاصة بهذا الحقل، وعلى سمات دلالية عامة ، يمكن أن تكون واردة بالنسبة لكل/ معظم الحقول الدلالية للأفعال[10]؛ أهمها: النشاط باعتباره سيرورة مراقبة، والمعاناة باعتبارها حالة غير مراقبة[11]. وتتسم أفعال الحواس بأنها تشكل طبقة فعلية مطردة في كل اللغات الطبيعية[12].

2- تتم معجمة أفعال الحواس ، وخاصة في البصر والسمع، في بعض اللغات الطبيعية عن طريق وحدات معجمية خاصة، كتمييز العربية بين "رأى" و"نظر إلى". بينما تلجأ لغات أخرى في معجمة النشاط والمعاناة إلى وسائل أخرى تركيبية وصرفية.

3- ثمة ثلاثة أنماط للغات الطبيعية لمعجمة أفعال الحواس:

أ. لغات تملك فعلين أو أكثر للبصر، وفعلين أو أكثر للسمع، ومنها العربية.

ب. لغات تملك فعلين أو أكثر للبصر، وفعلاً واحداً للسمع.

ج. لغات تملك فعلاً واحداً للبصر وفعلاً واحداً للسمع.

4- أن اللغات - بناءً على الفقرة السابقة - تعطي الأولوية لمعجمة النشاط والمعاناة (أي: التعبير عنهما بوحدات معجمية خاصة) في البصر والسمع على حساب اللمس والذوق والشمّ. وتعطي أولوية التمييز بينهما في البصر على حساب التمييز بينهما معجمياً في السمع. ويقود هذا إلى سلمية (تراتبية) لمعجمة أفعال الحواس[13] (ينظر خطاطة-3).

- خطاطة(3) التراتبية المقترحة من بعض اللسانيين لمعجمة ألفاظ الحواس في العربية -

بصر	>	سمع	>	لمس ذوق شمّ

وإذا كانت الأبحاث والدراسات اللسانية تركزّ على طبقة الأفعال؛ لما للفعل من خصائص، كونه يُعدّ "موضوعاً جوهرياً داخل كل نظرية لسانية ؛ نظراً لمكانته في بناء شبكة العلاقات النحوية بين مكونات النحو المختلفة، ونظراً - أيضاً - لتنوع السمات الفعلية وتباين الآفاق التي ترد فيها، وطرق بنائها"[14]. فإننا آثرنا أن يكون العنوان بالـ "ألفاظ" لا بالـ "أفعال"؛ لوجود ألفاظ دالة على البصر في سورة النمل تنتمي إلى طبقة الصفات، نحو: "فناظرة"، "مبصرة"، "مبصراً". وبخصوص طبقة الصفات ومقارنتها بالأفعال في الخصائص والسمات التركيبية والدلالية ، وبالنظر إلى سيرورة تطور نظرية الدلالة التوليدية نجدها تمتلك خصائص وسمات الأفعال والأسماء معاً[15].

المطلب الأول ــ لفظ النظـــــر :

لمعرفة المعنى المحوري لمادة (ن ظ ر) نقارن بين هذه الأقوال التأصيلية[16]:

1- النون والظاء والراء أصلٌ صحيح يرجع فروعُه إلى معنىً واحدٍ وهو تأمل الشيء ومعاينتُه، ثم يُستعار ويتسع فيه[17].

2- مواجهة بالعين بترقب وتهيُّؤ للالتقاط[18].

3- الأصل في هذه المادة هو رؤية في تعمّق وتحقيق في موضوع مادّيّ أو معنويّ، ببصر أو ببصيرة[19].

نلحظ أن التأصيل الأول ركّـــز على التأمل، والتأمل في المعجم ذاته هو "التثبّت في النظر"[20]، والمعاينة هي مجرد ظهور الشيء للعيان ؛ فإذا كانت بعد التأمل –كما في هذا النص- فالتأمّل لأجل المعاينة ، وإذا كانت بعده فيكون التأمل للتحقق من ملامح الشيء المنظور وسماته وخصائصه وأجزائه . والتأمل في كلا التوجيهين يحتاج لمدة من الزمن. وكما ذكر هذا التأصيل الاستعارة في هذا المعنى للاتساع الدلالي واستخدامه

في الأمور التجريدية. بينما اقتصر التأصيل الثاني على مجرد توجيه الحاسة الباصرة بالعين ؛ أي: سواء ظهر شيء للعيان أم لا، دون الإشارة إلى ملمحي التأمل والاتساع المعنوي. ونجد التأصيل الثالث يذكر الملامح الثلاثة في عبارة مختصرة ؛ فالتعمق والتحقق هما التأمل، والبصر للموضوع المادي، والبصيرة للمعنوي. كما أنه جمع بين ألفاظ النظر والبصر والرؤية.

فالنظر في حقيقته هو توجيه حاسة العين الباصـرة لإدراك شيء حسي منظور، أي : مرئي، وقد يُستعار للأمور المجردة. فهو متّسم بسمة [+ قصد]؛ لذا يأتي منه فعل الطلب : انظُرْ. ويتحدد معناه بثلاثة ملامح (مكونات دلالية):

أولها يتعلق بالشخص الناظر: وهو توجيه حاسة البصر لالتقاط وإدراك شيء محسوس (أو أمر معنوي).

ثانيها يتعلق بالمنظور: وهو اتسامه بسمة [+ حسي] أصالة وهو الشيء الحسي، كما يتسم بسمة [- حسي] اتساعاً وهو الأمر المجرد.

ثالثها يتعلق بحدث النظر: وهو اتسامه بسمة [+ قصد] فيأتي منه فعل الطلب "انظر"، كما يتسم هذا الحدث بالتأمل الذي يقتضي المدة الزمانية، سواء قبل المعاينة أم بعدها.

والمكون الدلالي الخارجي (المدة الزمنية) اللازم للتأمل يصبح هو النواة لاشتقاق وجه الانتظار، ويكون التأمل هو الملمح الدلالي الخارجي للانتظار؛ ذلك أن الانتظار هو مدة زمنية يتخللها تأمل وإعمال فكر في الكائن أو الشيء أو الأمر المنتظَر (ينظر خطاطة-4).

- خطاطة(4) تمثيل لحدث النظر وتحليله المكوناتي –

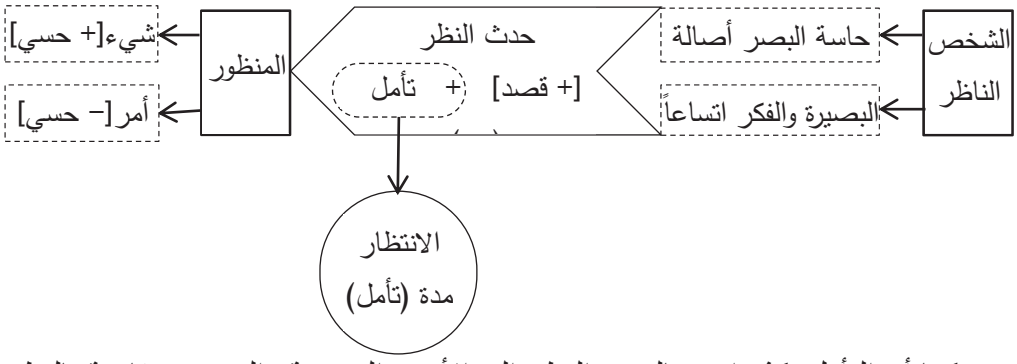

كما أن التأمل يكثر استعماله في النظر إلى الأمور المعنوية والمجردة مقارنة بالنظر إلى الأشياء الحسية.

ونخلص من هذا إلى أن النظـــر له استعمال أصلي في الرؤية الحسية ، واستعمالان فرعيان، أولهما : التأمل والتفكر، وثانيهما: الانتظار والتأخير (ينظر خطاطة-5).

- خطاطة(5) تمثيل لدلالات الجذر /ن ظ ر/ -

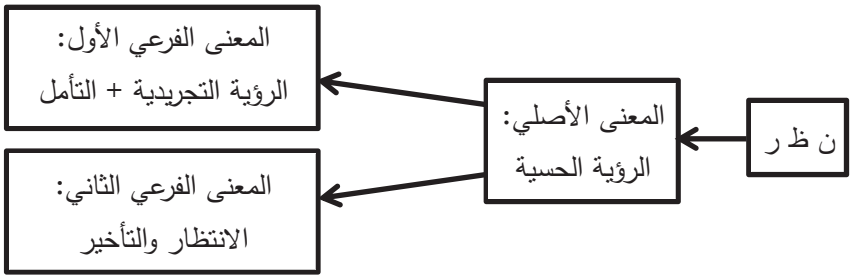

ويعرض الجدول-6 الحقول الدلالية لألفاظ النظر في العربية المعاصرة ، حسب المكنز الكبير[21]، مع نسبة كل حقل إلى الدلالات الثلاث المشار إليها في الخطاطة-5، وهي : البصر الحسي، البصر المجرد مع التأمل، والانتظار.

- جدول(6) عرض تداوليات الجذر /ن ظ ر/ مع نسبتها لدلالات الجذر -

الرقم التصنيفي في المكنز	الحقل	حسي	معنوي + تأمل	انتظار
146	الإسراع × الإبطاء والتمهل			✓
194، 195	الإمهال			✓
376، 377	البحث × التجاهل		✓	
407	البصر × العمى	✓		
590	التشريع × الإلغاء		✓	
729	التوقع × المفاجأة			✓
886	الحماية			✓
1350	الصورة	✓		
1523	العين	✓		
1802	المرصد	✓		
1814	المظهر × الجوهر	✓		
1851	المشابهة × المخالفة		✓	
1881	النظارة	✓		
1985، 1886، 1887	النظر × غض البصر	✓		
		7	3	4

نجد أن مادة النظر تتميز "بتنوع بارز للصور اللفظية، وتناوب صيغي ملحوظ، فضلاً عن تعدد دلالي تفرزه مشتقاته"[22].

وبمقارنة التعدد الدلالي التكاملـــي لمادة النظـر بين الاستعمال العام في اللغة العربية (الرؤية الحسية ، المقابلة ، الانتظار، التفكّر وهـــو التأمل، الرحمة) ، وبين الاستعمال الخاص بالسياقات القرآنية ، نجده نفسه باستثناء وجه واحـــد لم يأتِ في القرآن

العظيم[23]، وهو معنى المقابلة[24]، الذي يرجع إلى الرؤية الحسية – أيضاً- ، ويمكن اعتبار معنى الرحمة من الوجوه الخاصة بالسياق القرآني؛ حيث شاهده الوحيد قوله - تعالى- : **(وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا ينظر إِلَيْهِم يَوْم الْقِيَامَة)**(آل عمران: 77)، أي لا يرحمهم، وهو استعمال مجازي على الأغلب؛ لأن معنى الآية: "غضبه عليهم؛ إذ قد شاع نفي الكلام في الكناية عن الغضب، وشاع استعمال النظر في الإقبال والعناية، ونفي النظر في الغضب. فالنظر المنفي هنا نظر خاص. وهاتان الكنايتان يجوز معهما إرادة المعنى الحقيقي"[25].

سياقات النظر في سورة النمل:

1- **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)**(النمل: 14). التصنيف : النظر التجريدي . طلب الخالق من الرسول – صلى الله عليه وسلم - بأن ينظر ويتأمل ويتعجب من هلاك قوم فرعون، " و (كيف) اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لـ (كان)، و(عاقبة المفسدين) اسم (كان)، والجملة معلّقة لـ (انظر) عن العمل[26] ، فهي محل نصب بنزع الخافض؛ لأن انظر بمعنى : تفكّر"[27].

2- (قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (النمل: 27). التصنيف: النظر التجريدي/ الانتظار. هذا من قول سليمان – عليه السلام - للهدهد عندما جاءه بخبر مملكة سبأ، وإنما كان منه هذا الاتهام والتشكيك خشية " أن يكون ذلك الكلام الذي سمعه من تلقاء الهدهد كلاماً ألقاه الشيطان من جانب الهدهد ليضلل سليمان ويفتنه... فعزم سليمان على استثبات الخبر بالبحث الذي لا يترك ريبة في صحته"، هذا هو "وجه تطلب سليمان تحقيق صدق خبر الهدهد، والنظر هنا نظر العقل وهو التأمّل"[28]. فسليمان – عليه السلام - "أخّر أمر الهدهد إلى أن يبين له حقه من باطله فسوّفه بالنظر في ذلك"[29]. ففيه معنى الانتظار- أيضاً- .

3- **(اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)**(النمل: 28). التصنيف: النظر التجريدي/ الانتظار. معناه : " تأمل واستحضره في ذهنك. وقيل معناه : فانتظر"[30]. وعلى هذا، ففي "هذا التعبير وجهان ؛ أولهما: أن تكون (انظر) بمعنى : تأمّل وتفكّر... أي : شيء يرجعون، أو... أي : شيء الذي يرجعونه... أ: انظر في كذا وفكّر فيه. وثانيهما : أن تكون (انظر) بمعنى : انتظر... أي : انتظر الذي يرجعونه... والمعنى ماذا يريدون من الجواب أو ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول"[31].

4- **(قَالُـــوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُـــرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ)**(النمل: 33). التصنيف: النظر التجريدي . فانظري هنا " من التأمل والتفكر"[32]؛ فوضوا الأمر إلى الملكة لثقتهم بأصالة رأيها لتنظر ما تأمرهم فيمتثلونه ، فحذف مفعول (تأمرين) ومتعلقه لظهورهما من المقام ، والتقدير: ما تأمريننا به ، أي : إن كان رأيك غير الحرب فمري به نطعْك. وفعل (فانظري) معلق عن العمل بما بعده من الاستفهام وهو (ماذا تأمرين)[33].

5- (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)(النمل: 35). التصنيف: النظر التجريدي/ الانتظار. اهتدت بلقيس إلى بعث هدية إلى سليمان - عليه السلام - لكي تنظر وتختبر أمره، فـ(ناظرة): اسم فاعل من نظر بمعنى : انتظر، أي: مترقبة، فلفظ النظر في هذه الآية يدل على الانتظار والترقب ، فتكون جملة: بم يرجع المرسلون مبنية لجملة فناظرة أو مستأنفة. ويجوز أن يكون فناظرة من النظر العقلي، أي عالمة، وتعلق الباء بفعل يرجع. وعلى كلا الوجهين فـ(ناظرة) معلق عن العمل في مفعوله أو مفعوليه لوجود الاستفهام، ولا يجوز تعلق الباء بـ(ناظـــرة)؛ لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيما بعده[34].

6- (قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ)(النمل: 41). التصنيف: النظر التجريدي. روى بعض أهل التفسير أن الجن أحست من سليمان أنه ربما تزوّج بلقيس، وخافت إن تزوج بها فيولد له منها ولد أن يبقوا مسخرين لآل سليمان أبداً، فعابوها عنده بأنها غير عاقلة ولا مميزة ، وبأن رجلها كحافر دابة ، فقال: نكروا لها عرشها لنعرف عقلها ، فجرب عقلها وميزها بتنكير عرشها ، وجرب أمر رجلها بأمر الصرح ، لتكشف عن ساقيها عنده[35]. فننظر – هنا -: أي : نعلم[36]، أو نختبر[37].

7- (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ)(النمل: 51). التصنيف: النظر التجريدي. والخطاب في قوله: (فانظر) للنبي – صلى الله عليه وسلم - ، والمعنى : فانظر - أيها الرسول- نظـــرة اعتبار، أي : فتفكر في أنه كيف كان عاقبة غَدْر هـــؤلاء الرهط بنبيهم صالح ؛ أنا أهلكناهم بالصيحة وقومهم الذين لم يكونوا معهم في التبييت أَجْمَعِينَ . واقتران النظر بفاء التفريع إيماء إلى أن الاعتبار بمكر الله بهم هو المقصود من سَوْق القصة تعريضاً بأن عاقبة أمره مع قريش أن يكف عنه كيدهم وينصره عليهم ، وفي ذلك تسلية له على ما يلاقيه من قومه . والنظر: نظـــر قلبي ، وقد علق عن المفعولين بالاستفهام[38].

8- (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)(النمل: 69). التصنيف: النظر التجريدي. إن الخطاب موجه إلى كفار مكة حيث طلب منهم النظر في آثار الكفار والمجرمين وعاقبة هلاكهم. أي : "قُلْ يا أكمل الرسل كلاماً خالياً عن وصمة المجادلة والمراء، صادراً عن محض الحكمة والعبرة والاستبصار، آمرا لهم على سبيل الاعتبار: سِيرُوا - أيها المنكرون المكابرون ليوم العرض والجزاء- فِي الْأَرْضِ -التي هي محل العبرة ومنزل الاستبصار- فَانْظُرُوا معتبرين متأملين كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ المكذبين"[39].

نخلص إلى أن استعمال ألفاظ النظر في سورة النمل لم يأتِ على المعنى الأصلي وهو توجيه حاسة البصر للإدراك الحسي ، ولا على المعنى الفرعي "الانتظار والترقب" بمفرده ، بل جاء على واحد من المعنيين الفرعيين، وهو النظر التجريدي مع التأمل والتفكر، أو على احتمال المعنيين الفرعيين في سياق واحد.

المطلب الثاني ـ لفظ البصر:

ولتحديد المعنى المحوري لمادة (ب ص ر) نرجع للمصادر التأصيلية الثلاثة المشار إليها:

1- الباء والصاد والراء: أصلان؛ أحدهما: العلم بالشيء ، يقال: هو بصير به. ومن هذه: البصيرة... وأصل ذلك كله وضوح الشيء . ويقال: رأيته لمحاً باصراً، أي: ناظراً بتحديق شديد . ويقال: بصرت بالشيء: إذا صرت به بصيراً عالماً، وأبصرته: إذا رأيته. وأما الأصل الآخر: فبصْر الشيء غِلَظه...[40].

2- هو إمساكٌ أو التقاطٌ في أثناء المتجمع أو الممتد؛ كحس الرؤية في مقلة العين مع التقاط صور الأشياء أي رؤيتها وتحصيلها... ، ومن البصر: حس الرؤية... ولما في البصر من الرؤية والكشف جاء البصيرة: نظر القلب/ الفطنة فهي رؤية قلبية...[41].

3- الأصل الواحد في هذه المادة : هو العلم بنظر العين أو بنظر القلب. كما أن الرؤية والنظر مطلق غير مقيد بقيد العلم، والعلم مطلق غير مقيد بقيد النظر[42].

ما يهمنا في التأصيل الأول هو الأصل الأول ، وهو يُرجع المادة إلى العلم ، فالبصر أعمق من النظر، بل وأعمق من الرؤية ؛ لأنه نهاية مطلب النظر. والتأصيل الثاني يحاول إرجاع المادة بفرعيها الحسي والتجريدي إلى أصل واحد حسي ، وهو كذلك يجعل البصر أعمق من النظر والرؤية، وكأنه يسوي –هنا- بين النظـــر والرؤيـــة. وأما الثالث، فاستطاع بعبارة مختصرة الجمع بين ما في التأصيلين الآنفين؛ فقد أرجع

المادة بفرعيها الحسي والتجريدي لمعنى العلم، كما أنه سوّى كذلك بين النظر والرؤية في هذا السياق.

ونخلص من هذه التأصيلات إلى أن البصر (والرؤية) واسطة النظر إلى الإدراك والعلم (ينظر خطاطة-7)..

- خطاطة(7) تمثيل لسلمية النظر والبصر والإدراك -

والبصر الحسي (بالعين)، والبصر بالحجة، وزاد ابن الجوزي وجهاً رابعاً هو البصر بمعنى الاعتبار، وهو في حقيقته راجع للبصر بالقلب[43].

سياقات البصر في سورة النمل:

9- (فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)(النمل: 13). التصنيف: البصر الحسي. قوله: (مبصرة) من الإبصار والظهور، بينة واضحة يبصر بها[44]. وهو اسم فاعل بمعنى : اسم مفعول، على طريقة المجاز العقلي ، وإنما المبصر الناظر إليها؛ للإشعار بشدة وضوحها وإنارتها... كما يقال : ماء دافق بمعنى مدفوق[45]. أي: واضحة بينة كأنها "لفرط اجتلائها للأبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر، أو ذات تبصر من حيث إنها تهدي، والعمي لا تهتدي فضلاً عن أن تهدي ، أو مبصرة كل من نظر إليها وتأملَ فيها"[46]. والتأمل هنا في النظر الحسي بعد المعاينة لا النظر التجريدي.

10- **(وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ)**(النمل: 54). التصنيف: البصر الحسي/ التجريدي. وفي هذا السياق: قال لوط - عليه السلام - لقومه: **(أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ)**؛ " ، أي : تبصرون ما حل بالأمم السابقة من العذاب حين عصوا وكفروا بربهم، أو المراد: يبصر بعضكم بعضاً عند إتيان هذه الفاحشة الذميمة"[47]، فعلى التأويل الأول البصر معنوي ، وعلى الثاني حسي ، وهذا من بدائع الاتساع الدلالي في القرآن.

11- **(أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)**(النمل: 88).

التصنيف: البصر الحسي. المبصر: اسم فاعل أبصر بمعنى رأى . ووصف النهار بأنه مبصر من قبيل المجاز العقلي ؛ لأن نور النهار سبب الإبصار[48]؛ "لما كان يقع فيه أضافه إليه، كما تقول : ليلك نائم ، ولم يقع التقابل في جعل النهار بالنص على علته،

فيكون التركيب: والنهار لتبصروا فيه، بل أتى بقوله : مبصراً، قيداً في جعل النهار، لا علةً للجعل"[49]. وأصل التركيب: جعلنا الليل مظلماً ليسكنوا فيه، والنهار مبصراً ليتصرفوا فيه بذكر القيد والعلة (ينظر تخطيط-8).

- تخطيط(8) توضيح بلاغة الاحتباك بين قيد الجعل وعلة الجعل -

ألم يروا أنا		
[الجعل]	[قيد الجعل]	[علة الجعل]
جعلنا الليل	[مظلماً]	ليسكنوا فيه
و[جعلنا] النهار	مبصراً	[ليتصرفوا فيه]

فحُذِف من الأول ما أُثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أُثبت نظيره في الأول؛ فحذف (مظلماً) لدلالة (مبصراً)، و(ليتصرّفوا) لدلالة (ليسكنوا)[50]، وهو ما يسمى في علم البديع بـ"الاحتباك"[51].

نخلص إلى أن مادة البصر وردت في سورة النمل في ثلاثة مواضع؛ موضع يحتمل البصر الحسي والتجريدي، وموضعان أسند فيهما البصر مجازاً لأمر [- حسي] لا لكائن مبصر.

المطلب الثالث ـ لفظ الرؤيـــــة :

لتأصيل المعنى المحوري لمادة (الرؤية) نعرض أولاً ما في المصادر الثلاثة السابقة:

1- الراء والهمزة والياء أصل يدلّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة[52].

2- لحظ العين الشيءَ حال اتجاهها إليه؛ كالرؤية: وهي انتقال صورة المرئي من خلال عين الرائي -حين اتجاهها- إلى قلبه أو ذهنه... ومن الرؤية بالعين أخذت الرؤية العلمية... والرأي... والرؤيا المنامية...[53].

3- الأصل الواحد في هذه المادة: هو النظر المطلق بأي وسيلة كان ؛ بالعين الباصرة، أو بقلب بصير، أو بشهود روحاني، أو بمتخيلة مفكرة بتركيب الصور والمعاني[54].

نرى التأصيل الأول يسوي بين النظر والبصر ويجعلهما طريقاً للرؤية التي تكون بدرجة أعلى؛ فهي هدفهما، وتكون الرؤية حسية ومعنوية. بينما لم يتطرق التأصيل الثاني إلى ألفاظ النظر والبصر، ففسر الرؤية تفسيراً حسياً تجريبياً، وقسمها أربعة أنواع : بصرية، وعلمية ، وفكرية، ومنامية. والتأصيل الثالث قسمها أنواعاً قريبة من التقسيم الأول ، مع استعمال ألفاظ النظر والبصر[55].

وبالمقارنة بين النظر والبصر والرؤية : نجد أن النظر يكون أدنى مراتب الإدراك بالعين ، فهو التحديق بحاسة الإبصار نحو الشيء ، ولكن هذا في حد ذاته لا يؤدي بالضرورة إلى إدراك الشيء ؛ لأن الناظر قد لا يبصر ولا يرى ، يقال: "نظرت إلى كذا" إذا مددت

طرفك إليه ، سواء رأيته أو لم تره، وتقول: "نظرت فلم أرَ شيئاً"، أي أن النظر تحديق والبصر إدراك[56]؛ بدليل قوله - تعالى - عن الأصنام : **(وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)**(الأعراف: 198)؛ لأنهم صوّروا أصنامهم في هيئة الناظر بحدقته إلى الشيء، ولكنهم لا يدركون هذا الشيء[57]. أما الرؤية فلها مزية على الإبصار بكونها علماً ثابتاً لا شك فيه (ينظر خطاطة-9)، لذا عُبر بها عن العلم اليقيني في قوله - تعالى- : **(لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ. ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)**(التكاثر: 6-7).

- خطاطة(9) تمثيل لسلمية النظر والبصر والرؤية والإدراك -

ومنهم من عكس فجعل الإبصار أعلى رتبة في الإدراك من الرؤية! فقد رتب السمان في معجزة السداسيات مجموعة ألفاظ "السعي الناجح للتعرف على الصورة بالنظر والرؤية"[58] ترتيباً تنازلياً على النحو التالي:

بصر، رأى، رقب، نظر (اللازم) ، رصد، لمح.

وعلى كلّ، فقد اتفق معهم على أن النظر أدنى رتبة من البصر والرؤية ، إذ هو توجيه الحاسة نحو الشيء لغرض إدراكه، بغض النظر عن حدوث الإدراك من عدمه، ويتسم بسمة [+ قصد] لذا يأتي منه فعل الطلب (انظر)، بينما لا يستعمل فعل الطلب من البصر والرؤية[59].

نخلص بالمقارنة بين "نظر" و"رأى" إلى أن الأول منهما يعبر عن مجرد انتقال النظر من شخص إلى موضوع ، أي : مجرد إرسال نحو اتجاه معين ، بينما يفيد معنى الثاني دخـول المرئي إلى مجال الوعي البصري ؛ "ووفق هـذا التحليل يمكن اعتبار "رأى" الفعل النموذجي للإدراك"[60]. وفرق آخر بينهما هو أن "نظر" فعل سلوك وحركة ونشاط، أي : فعل إرادي مراقب وفاعله "المنفذ"، بينما "رأى" فعل نفسي أو حدث ذهني غير منفذي وغير مراقب ، أي : "حالة" وفاعله "المعاني" ؛ بناءً على بعض الروائز[61] التركيبية، منها[62]:

أ. جـواز اقتران الفعل " نظر" بالقصد دون الفعل "رأى"، فيصح أن يقال : نظر زيد إلى عمرو قصداً/ عن قصد، ولا يصح هذا في الفعل "رأى".

ب. جـواز اقتران الفعل "نظر" بالكيفية دون الفعل "رأى"، فيصح أن يقال : نظرت إليه بانتباه، ولا يصح هذا في الفعل "رأى".

ج. جواز اقتران الفعل "نظر" بالتدرج والامتداد في الزمن دون الفعل "رأى"، فيصح أن يقال: نظر زيد إلى اللوحة قليلاً، وقد يصح هذا في الفعل "رأى" ولكن على قراءة أنه رأى جزءاً من اللوحة لا أنه رأى اللوحة لمدة زمنية قصيرة. وكذلك من التدرج يصح أن يقال: " بينما كنت أنظر إلى اللوحة دخل زيد "، ولا يصح هذا في "رأى"[63].

وهذا لا يعني أن الحركة الفضائية غير ممعجمة في "الرؤية"، وإنْ كانت على سبيل التجرد، فهي حركة ذهنية لا في فضاء حسي؛ لأن فاعلها هو المعاني لا المنفّذ، ومحمولها (فعلها) سكوني متسم بسمة [- نشاط]، "وحين يصف المحمول حركة غير قصدية فإنه يكون محمولاً سكونياً، في مقابل المحمول القصدي الدال على النشاط"[64]. وعلى هذا إذا اتسم الفعل بعدم القصدية [- قصد] يكون المحور هو المرئي (المفعول)، وهو مصدر الحركة المجردة ، ويكون الفاعل (المعاني) هو هدف الحركة المجردة؛ لأن الرائي يعاني إدراك الرؤية بفعل انتقال المرئي تجريدياً إلى مجال إدراكه. على العكس من "النظر" الذي يعد فعل نشاط ينتقي فاعلاً منفذاً، وتتوافر فيه القصدية، فتكون فيه الحركة من الناظر إلى المنظور إليه، ويكون الفاعل هو المحور ومصدر الحركة الذهنية (ينظر خطاطة-10).

خطاطة(10) تمثيل اتجاه الحركة الفضائية من المصدر إلى الهدف بين النظر والرؤية -

وبالمقارنة بين الأفعال الثلاثة نجد أن الإبصار يتوسط الرؤية والنظر[65]. وبالمقارنة بمادة النظر فإن جذر الرؤية "يتميز بفقر دلالي واضح يدعم ارتباطه بالدلالة البصرية ولا يتجاوزها إلى معانٍ بعيدة عنه"[66]، سواء في المجال الحسي أو التجريدي. وكذا جذر البصر.

سياقات الرؤيـــــــــــة في ســـــورة النمل:

12- (وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ)(النمل: 10). التصنيف: الرؤية الحسية. قال الألوسي: "وجملة تَهْتَزُّ في موضع الحال من مفعول رأى ، فإنها بصرية كما أشرنا إليه لا علمية كما قيل"[67]. ومنهم من عبر بقوله : "فلما عاين موسى ذلك"[68].

13- (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِـــيَ لَا أَرَى الْهُدْهُـــدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ)(النمل: 20).
التصنيف: الرؤية الحسية. الرؤية حسية. ودلالة السلبية (عدم الرؤية) ليست ممعجمة في اللفظ ؛ بل تُستفاد من أداة النفـــي. مقصد الكلام غياب الهدهد ، لكنه استفهم عن لازم الغياب وهو كونه لا يراه ، وهذا ضرب من الإيجاز[69]. واختلف في (أم) هل هي متصلة[70]؟ فيكون الاستفهام متضمناً همزة الاستفهام التي تعادلها (أم) ؛ والمعنى: أغاب عني الآن فلم أره حال التفقد؟ أم كان ممن غاب قبلُ ولم أشعر بغيبته؟ وقيل: منقطعة[71]، فمعنى ما لي لا أرى الهدهد : أنه لا يراه وهو حاضر لساتر أو مانع، "فالاستفهام عما حصل له في هذه الحال ، أي : عن المانع لرؤية الهدهد... ، يعني: أكان انتفاء رؤيتي الهدهد من عدم إحاطة نظري أم من اختفاء الهدهد؟ فالاستفهام حقيقي، وهو كناية عن عدم ظهور الهدهد"[72].

14- **(قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِراً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّـــي غَنِيٌّ كَرِيـــمٌ)**(النمل: 40). التصنيف: الرؤية الحسية. الضمير عائد على عرش بلقيس، والعرش -في معاجم اللغة وكتب التفسير[73]- هو سرير الملك. وقوله: (مستقراً): حال؛ لأن الرؤية بصرية[74]. قال ابن عاشور: "والاستقرار: التمكن في الأرض وهو مبالغة في القرار، وهذا استقرار خاص هو غير الاستقرار العام المرادف للكون ، وهو الاستقرار الذي يُقدّر في الإخبار عن المبتدأ بالظرف والمجرور ليكون متعلقاً بهما إذا وقعا خبراً أو وقعا حالاً ؛ إذ يقدر (كائن) أو (مستقِرّ)، فإن ذلك الاستقرار ليس شأنه أن يُصرَّح به ، وابن عطية[75] جعله في الآية من إظهار المقدر، وهو بعيد "[76] ، ونقل أبو حيان عن أبي البقاء أنه استقرار عام، وتوجيه ذكره أنه يؤخذ منه أمراً زائداً على الاستقرار المطلق ، وهو كونه غير متقلقل حتى يكون مدلوله غير مدلول العندية، ثم قال عنه: "وهو توجيه حسن"[77].

15- **(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ)**(النمل: 44). التصنيف : الرؤية الحسية. الضمير عائد على الصرح، والصرح في التفاسير هو المكان العالي ، أو هو صحن القصر؛ فعلى الأول : سمي صرحاً، "وحكاية أنها حسبته لجة عندما رأته تقتضي أن ذلك بدا لها في حين دخولها ، فدل على أن الصرح هو أول ما بدا لها من المدخل ، فهو لا محالة ساحة معنية للنزهة فرشت بزجاج شفاف وأجري تحته الماء حتى يخاله الناظر لجة ماء. وهذا من بديع الصناعة التي اختصت بها قصور

سليمان في ذلك الزمان لم تكن معروفة في اليمن على ما بلغته من حضارة وعظمة بناء"[78].

16- **(أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)**(النمل: 86). التصنيف: الرؤية الحسية/ التجريدية. تقدم النص في المسألة (11) لتحليل لفظ **(مُبْصِراً)**، وإعادته هنا لتناول لفظ **(يَرَوْا)**. والرؤية -هنا- يجوز أن تكون قلبية، وجملة (أنا جعلنا) سادّة مسدّ المفعولين ؛ أي : كيف لم يعلموا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً، مع أن ذلك واضح الدلالة على هذا الجعل. واختير من أفعال العلم فعل الرؤية لشبه هذا العلم بالمعلومات المبصرة ، ويجوز أن تكون الرؤية بصرية، والمصدر المنسبك من الجملة مفعول الرؤية ؛ والمعنى : كيف لم يبصروا جعل الليل للسكون والنهار للإبصار مع أن ذلك بمرأًى من أبصارهم[79].

17- **(وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)**(النمل: 88). التصنيف: الرؤية الحسية. "وترى الجبال: هو من رؤية العين تحسبها حال من فاعل ترى، أو من الجبال. وجامدة، من جمد مكانه إذا لم يبرح منه، وهذه الحال للجبال عقيب النفخ في الصور، وهي أول أحوال الجبال، تموج وتُسيَّر، ثم ينسفها الله فتصير كالعهن، ثم تكون هباءً منبثاً في آخر الأمر"[80]. فالرؤية بصرية[81]، أي من رؤية العين، ولو كانت من رؤية القلب لتعدّت إلى مفعولين[82].

18- (وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(النمل: 93).

التصنيف: الرؤية الحسية/ التجريدية. تهديد من الله - تعالى - لأعدائه بما يريهم من آياته التي تضطرهم إلى معرفتها والإقرار بها ، وقد اختلف أهل التفسير[83]؛ هل هي في الآخـــرة حتى لا تنفعهم المعرفة ، أم في الدنيا ولو بعد حين ؛ كانشقاق القمر والدخان وخروج الدابة ، أو ما حل بهم من نقمات الله كيوم بدر. وقيل : معجزات الرسول، وأضافها إليه ؛ لأنه هو مجريها على يدي رسوله ، ومظهرها من جهته. وقيل: آياته في أنفسكم وفي سائر ما خلق كما في قوله - تعالى - : في موضع آخر: **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)**(فصلت: 53). والرؤية في مثل هذا السياق يمكن اعتبارها من قبيل الحسي ؛ لأنهم سيشاهدون هذه العلامات بأم أعينهم ، ويمكن اعتبارها من المعنوي؛ أي : ستعلمونها. ولا زال هذا الاستعمال متداولاً في سياقات التهديد في لغتنا المعاصرة ، سواء على مستوى الفصحى البسيطة، أم على مستوى اللهجات العامية؛ قولنا: "سأريك أو سترى أو أرأيت ما حصل؟!" = "تو نورّيك أو تو تشوف أو شفت شن صار؟!"، فهي بمعنى (ستعلم) أو (هل علمت؟).

وعوْداً إلى سياق هذه الآية ففي تفسير ابن عاشور ما يدل على أن معناها المعرفة والعلم؛ قال: "والسين تُؤْذِنُ بأنها إراءَةٌ قريبة، فالآيات حاصلة في الدنيا مثل الدخان، وانشقاق القمر، واستئصال صناديدهم يوم بدر، ومعرفتهم إياها تحصل عقب حصولها ولو في وقت النزع والغرغرة. وقد قال أبو سفيان ليلة الفتح: لقد علمت أنْ لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً... قال أبو جهل وروحه في الغلصمة يوم بدر: وهل أعمد من رجل قتلَه قومُه! يعني نفسَه وهو ما لم يكن يخطر له على بال"[84].

فالرؤية في سورة النمل كلها من باب الإدراك الحسي بالعين الباصرة على جهة اليقين، وفي سياقين منها احتملت الرؤية الدلالة المجردة مع الحسية في السياق نفسه.

الخلاصة:

في ضوء دراسة الألفاظ الدالة على حاسة البصر في إطار الدلالة المعجمية:

ـ قدّم هذا البحث مفهوم المعجمة وهندسة الحقول الدلالية، وتعرض لسمات الأفعال وخصائصها؛ كالحركة والسكون والمراقبة والإرادة والاستمرار... لأفعال حقل الحواس عامة، وحقل البصر خاصة.

ـ تناول المقارنة بين السمات والخصائص الدلالية والتركيبية لأفعال الحواس الأساسية الإيجابية (نظر، أبصر، رأى)، وخلَص إلى أن ***النظر*** في الأصل هو توجيه حاسة العين الباصرة لإدراك شيء حسي منظور، أي مرئي، فهو أدنى مراتب الإدراك بالعين؛ إذ التحديق بحاسة الإبصار نحو الشيء لا يؤدي بالضرورة إلى إدراك الشيء. وقد يستعار النظر للأمور المجردة. ويتولد منه وجه الانتظار. وهذان هما المعنيان الفرعيان له. ***والبصر*** والرؤية واسطة النظر إلى الإدراك والعلم. إلا أن الرؤية لها مزية على الإبصار بكونها علماً ثابتاً لا شك فيه. فالإبصار يتوسط النظر والرؤية.

ـ وقد عرضت كثير من الأدبيات اللسانية الفعلين "نظر إلى/ رأى" بالتحليل على مستوى البِنيتين الدلالية والتركيبية وتعالقاتهما، وتوصلت بالمقارنة وبتقنية الروائز إلى النتائج المعروضة في جدول11.

ـ جدول(11) ـ مقارنة بين الفعلين "نظر إلى" و"رأى" من حيث الخصائص والسمات ـ

الخصائص والسمات	نظر إلى	رأى
المكوّن الدلالي النووي	انتقال النظر من شخص إلى موضوع، أي مجرد إرسال نحو اتجاه معين	دخول المرئي إلى مجال الوعي البصري "الفعل النموذجي للإدراك"
نوع المحمول (الفعل)	فعل سلوك ونشاط مراقب	فعل نفسي أو حدث ذهني أي فعل سكون وحالة غير مراقب
الموضوع1 (الخارجي)	الفاعل [المنفذ]	الفاعل [المعاني]
الموضوع2 (الداخلي)	المفعول [الضحية]	المفعول [المنبّه]

الخصائص والسمات	نظر إلى	رأى
الدور المحوري	المحور: الموضوع1 (الفاعل)	المحور: الموضوع2 (المفعول)
مباشرة الموضوع2	-	+
الحركة الفضائية الحسية	-	-
الحركة الفضائية المجردة	+	+
اتجاه مسار الحركة (مصدر-هدف)	من الفاعل إلى المفعول	من المفعول إلى الفاعل
الاتّسام بالقصدية	+	-
التصريف إلى فعل الأمر	+	-
الاقتران بالكيفية	+	-
الاقتران بالتدرج والامتداد	+ +	- -

أما بخصوص الاستعمال التداولي:

- في مجال اللغة العربية عامةً: فإن جذر النظر، مقارنة بالبصر والرؤية، تميز بتنوع الألفاظ، وتناوب الصيغ، فضلاً عن التعدد الدلالي.

- وفي نطاق سورة النمل: تسببت كثرة السياقات التي وردت فيها ألفاظ حاسة البصر في طول هذا البحث نسبياً، وكثرة مراجعه -لا سيّما من كتب التفسير- لغرض تأصيل نوع اللفظ المنتمي للحقل من هذه المظانّ. وقد ظهرت نتائجها على النحو التالي:

1- لم يأتِ النظر على المعنى الأصلي، ولا على المعنى الثانوي "الانتظار" بمفرده، بل جاء على دلالة النظر المجرد بنسبة (5: 8)، أو على احتمال المعنيين الفرعيين (النظر المجرد/ الانتظار) في السياق نفسه بنسبة (3: 8).

2- ومادة البصر وردت في سورة النمل في موضع يحتمل البصر الحسي والتجريدي (1: 3)، وفي موضعين أسند فيهما البصر الحسي مجازاً لأمر [- حسي] لا لكائن مبصر (2: 3).

3- أما الرؤية في سورة النمل فكلها من باب الإدراك الحسي بالعين الباصرة على جهة اليقين في سبعة مواضع؛ خمسة منها اقتصرت على الرؤية الحسية بمفردها (5: 7)، وفي سياقين منها احتملت الرؤية الدلالة المجردة مع الحسية في السياق نفسه (2: 7).

الهوامـــــــــــــش :

1- التي "تتسم بالأسلوب القصصي المبني على الإيجاز والاختصار، وتكرار بعض الألفاظ؛ كلفظ النظر ولفظ الجعل وغيرهما، وكثرة المحسنات البديعية"؛ بزيو (2007)، أحمد، خصائص الأسلوب في سورة النمل، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، صص45-52.

2- ينظر: الفهري (1999)، عبد القادر الفاسي، المعجم العربي- نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال، الدار البيضاء- المغرب، ط2، صص40-41. وهي مبثوثة في معاجم اللسانيات.

3- إذا كان المحمول ينتقي الفاعل موضوعاً منفذاً واتّسم بالحركة، قد تكون الحركة حسية أو تجريدية والفاعل المنفذ هو مصدرها والمفعول الضحية هو هدفها، أما إذا انتقى الفاعل موضوعاً معانياً، فالحركة لا تكون إلا تجريدية، والفاعل المعاني هو هدفها ومصدرها المفعول المنبه.

4- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس (2002)، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات- إنجليزي فرنسي عربي، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، مطبعة النجاح، الدار البيضاء-المغرب، ص85، (ر314).

5- غاليم (1992)، محمد، في أفعال الحواس، (ضمن قضايا في اللسانيات العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن امسيك، الدار البيضاء-المغرب)، ص57.

6- أفراح (2015)، بشرى، بناء المقولات المعجمية، (ضمن اللسانيات العربية المقارنة، أعمال الندوة الدولية الثانية لمختبر إعداد اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب، مطبعة الأمنية، الرباط-المغرب)، ص13 فما بعدها. ينظر: جحفة (2011)، عبد المجيد، أفعال الوعاء والمحتوى- دراسة معجمية دلالية، (ضمن مسائل في اللسانيات العربية، مختبر اللسانيات والتواصل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء)، ص12.

7- ينظر: بريسول (2015)، أحمد، بين رأى في العربية وver في الإسبانية، (ضمن اللسانيات العربية المقارنة، أعمال الندوة الدولية الثانية لمختبر إعداد اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب، مطبعة الأمنية، الرباط-المغرب)، ص45.

8- ينظر: الفهري (1999)، مرجع سابق صص40-41. ينظر: غاليم (1992)، مرجع سابق صص57-65.

9- ينظر: الفهري (1999)، مرجع سابق ص40. ينظر: شوطا (1995)، عبد اللطيف، نظر ورأى، (ضمن أبحاث في اللسانيات العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن امسيك، الدار البيضاء- المغرب)، ص11.

10- "غير أن هذا لا ينفي أن لكل محمول من محمولات الفئة خصائص فُرادية تميزه باعتباره محمولاً خاصاً داخل فئته"؛ جحفة (2011)، مرجع سابق ص12.

11- غاليم (1992)، مرجع سابق ص59.

12- العروصي، بشرى، وبوغابة (2006)، عبد الإله، أفعال الحواس في اللغة العربية- المعجمة والسمات النسقية، المطبعة السريعة، القنيطرة-المغرب، ص15.

13- مما يدعم هذه السلمية المفترضة أن دراسات اللسانيين بخصوص أفعال الحواس اكتفت بمجال إدراكي واحد، وقد استأثر حقل البصر بالأهمية القصوى... ويعود التركيز على أفعال الإدراك البصري إلى أنه الإدراك الحسي الأساسي عند الإنسان؛ العروصي وبوغابة (2006)، مرجع سابق صص17، 91-92.

14- العروصي وبوغابة (2006)، مرجع سابق ص15.

15- أفراح (2015)، مرجع سابق ص12، 18.

16- مع التنبيه إلى أن الأول منها قديم وعام، بينما الآخران معاصران وخاصان بالاستعمال القرآني.

17- ابن فارس (1979)، أبو الحسين أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، /ن ظ ر/ ج5 ص444.

18- جبل (2010)، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم- مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط1، 2010. /ن ظ ر/ ص2219.

19- المصطفوي (1995)، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم- يبحث عن الأصل الواحد في كل كلمة وتطوره وتطبيقه على مختلف توارد الاستعمال في كلماته تعالى، مؤسسة الطباعة والنشر بوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران-إيران، /ن ظ ر/ ج12 ص184.

20- ابن فارس (1979)، مرجع سابق /ء م ل/ ج1 ص140، وينظر: الفراهيدي (؟)، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، /ل م ء/ ج8 ص347.

21- ينظر: عمر (2000)، أحمد مختار، المكنز الكبير- معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات، شركة سطور، ط1، (حسب الأرقام الواردة في الجدول).

22- العروصي وبوغابة (2006)، مرجع سابق ص111.

23- ينظر -مثلاً-: ابن الجوزي (1987)، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تح: محمد عبد الكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، ط3، ص588؛ حيث يقارن بين المعاني المحورية في اللغة، ووجوه المعنى في القرآن الكريم.

24- يقال: دورهم تتناظر أي تتقابل؛ ينظر: مصطفى (؟)، إبراهيم... وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية-القاهرة، دار الدعوة، /ن ظ ر/ ج2 ص932.

25- ابن عاشور (1984)، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج3 ص290.

26- "ويعلق وإن لم يكن من أفعال القلوب"؛ أبو حيان (1999)، محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت-لبنان. "وعلق (نظر) بـ: كيف، والهمزة، وأي الاستفهامية، وما الاستفهامية، وهل، وأنى، وماذا"؛ السيد (1986)، عبد الحميد مصطفى، الأفعال في القرآن الكريم، دار البيان العربي، ط1، ج3 ص1358.

27- درويش (1994)، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص-سورية، دار اليمامة، دمشق/بيروت، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، ج7 ص172.

28- ابن عاشور (1984)، مرجع سابق ج19 صص249، 256. وينظر: القرطبي (1964)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة-مصر، ط2، ج13 ص189.

29- ابن عطية (2001)، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، ج4 ص257.

30- أبو حيان (1999)، مرجع سابق ج8 ص233.

31- درويش (1994)، مرجع سابق ج7 ص172. ويختلف إعراب ماذا على الوجهين؛ ينظر: أبو حيان (1999)، مرجع سابق ج8 ص233.

32- أبو حيان (1999)، مرجع سابق ج8 ص236.

33- ينظر: ابن عاشور (1984)، مرجع سابق ج19 ص265.

34- ابن عاشور (1984)، مرجع سابق ج19 ص267.

35- ينظر: ابن عطية (2001)، مرجع سابق ج4 ص261، والقرطبي (1964)، مرجع سابق ج13 ص207.

36- صديق خان (1992)، أبو الطيب محمد، فتح البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المَكتبة العصرية، صيدا/بَيروت، ج10 ص46.

37- الهرري (2001)، محمد الأمين بن عبد الله، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة، بيروت-لبنان، ط1، ج20 ص465.

38- ينظر: ابن عجيبة (1998)، أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، ج4 ص203، ابن عاشور (1984)، مرجع سابق ج19 صص284-285.

39- النخْجَواني (1999)، نعمة الله بن محمود المعروف بالشيخ علوان، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحِكَم الفرقانية، دار ركابي، الغورية-مصر. ج2 ص70.

40- ابن فارس (1979)، مرجع سابق /ب ص ر/ ج1 صص253-254. ويمكن إرجاع الثاني إلى الأول، وعذق الأصلين في أصل واحد؛ إذ الشيء الغليظ أوضح في حاسة البصر وأسهل في الإدراك من الشيء الرقيق.

41- جبل (2010)، مرجع سابق /ب ص ر/ صص129-130.

42- المصطفوي (1995)، مرجع سابق /ب ص ر/ ج1 ص303.

43- ينظر: ابن الجوزي (1987)، مرجع سابق صص200-201. وابن الجوزي نفسُه قال فيه: "وألحقه شيخنا بالقسم الأول وقال: هو من البصر بالقلب"، ويقصد بشيخه أبا الحسن علي بن عبيد الله الزاغوني (ت527ه).

44- البغوي (1999)، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، تفسير البغوي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، ج3 ص492.

45- ينظر: طنطاوي (1998)، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة-مصر، ط1، ج10 ص310، وينظر: ابن عاشور (1984)، مرجع سابق ج19 ص232.

46- ينظر: البيضاوي (1997)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، ج4 ص156.

47- ابن الخطيب (1964)، محمد محمد عبد اللطيف، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط 6، ج1 ص463.

48- ابن عاشور (1984)، مرجع سابق ج20 ص44.

49- أبو حيان (1999)، مرجع سابق ج8 ص271.

50- الحلبي (؟)، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج8 ص644.

51- ينظر: السيوطي (؟)، جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر، الإتقان في علوم القران، دار نهر النيل، مصر، ج3 ص204.

52- ابن فارس (1979)، مرجع سابق /ر ء ي/ ج2 ص472. وهو قولهم: "الرؤية: النظر بالعين والقلب"؛ ابن سيده (2000)، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، /ر ء ي/ ج10 ص338، و ابن منظور (1993)، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعى الإفريقى، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط3، /ر ء ي/ ج14 ص291.

53- جبل (2010)، مرجع سابق /ر ء ي/ ص735.

54- المصطفوي (1995)، مرجع سابق /ر ء ي/ ج4 ص15.

55- مع التذكير -هنا- أن هذه التأصيلات في مادة البصر –كما في المطلب السابق- جعلت البصر أعمق من الرؤية!

56- ينظر: داود (2008)، محمد محمد، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب، القاهرة-مصر، ص134.

57- ينظر: الزمخشري (1986)، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق التأويل وغوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط3، ج2 ص189.

58- السمان (2011)، راتب عبد الوهاب محمد، معجزة السداسيات، كتاب إلكتروني + pdf، مع معجم لسان القرآن (ضمن موقع كلام الله)، (م69) ص199. الرابط:
/https://web.archive.org/web/20171110143229/http://kitabuallah.com

59- يُسأل كثيراً عن فعل الأمر من رأى – يرى، ويجاب بأنه رَهْ براء مفتوحة مع هاء السكت وبدونها، لكنه فعل صناعي لا تداولي. أما الفعل "أبصِرْ" فهو من الرباعي، ودلالته التعجب لا مجرد الإدراك بالعين، و"الأصح أنه بلفظ الأمر ومعناه الخبر"؛ السيد (1986)، مرجع سابق ج1 ص205. ويذهب شوطا (1995)، مرجع سابق ص22، إلى أن الأمر من "رأى" مستعمل في العاميات بصورة متحجرة باعتباره مصدرياً كما في نحو: "راهم في الدار"، بمعنى: "إنهم في الدار".

60- العروصي وبوغابة (2006)، مرجع سابق ص176.
61- الروائز هي الاختبارات والقياسات والفرضيات المتنوعة لغرض قياس السمات والخصائص، ومن ثَمّ التصنيف المقولي. وكانت الروائز في البداية في علم النفس لقياس الذكاء وضبط القوى العقلية، ثم استخدم المصطلح في علوم تجريبية أخرى بغية الوصول إلى أدق النتائج.
62- غاليم (2015)، محمد، بعض خصائص الأوضاع، (ضمن اللسانيات العربية المقارنة، أعمال الندوة الدولية الثانية لمختبر إعداد اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب، مطبعة الأمنية، الرباط-المغرب)، ص144 فما بعدها. شوطا (1995)، مرجع سابق صص14-16. العروصي وبوغابة (2006)، مرجع سابق صص176-177.
63- غاليم (2015)، مرجع سابق صص144، 147.
64- ينظر: شوطا (1995)، ص15.
65- العروصي وبوغابة (2006)، مرجع سابق ص177.
66- العروصي وبوغابة (2006)، مرجع سابق ص111.
67- الآلوسي (1992)، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، ج10 ص159. وينظر: صديق خان (1992)، مرجع سابق ج10 ص15.
68- ينظر: ابن أبي حاتم (1998)، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط3، ج9 ص2848، والصابوني (1981)، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت-لبنان، ط7، ج2 ص667.
69- ينظر: ابن عطية (2001)، مرجع سابق ج4 ص255.
70- ابن عطية (2001)، مرجع سابق ج4 ص255.
71- الزمخشري (1986)، مرجع سابق ج3 ص352، ورجحه أبو حيان (1999)، مرجع سابق ج8 ص223. "وأم لا يفارقها تقدير معنى الاستفهام بعدها، فأفادت هنا إضراب الانتقال من استفهام إلى استفهام آخر. والتقدير: بل أكان من الغائبين؟"؛ ابن عاشور (1984)، مرجع سابق ج19 ص246.
72- ابن عاشور (1984)، مرجع سابق ج19 ص246.
73- ينظر –مثلاً-: الجوهري (1987)، إسماعيل بن حماد، الصحاح أو تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط4، /ع ر ش/ ج4 ص146، أبو حيان (1999)، مرجع سابق ج5 ص65.
74- الحلبي (؟)، مرجع سابق ج8 ص616. ودرويش (1994)، مرجع سابق ج7 ص214.
75- قال ابن عطية (2001)، مرجع سابق 261/4: "وظهر العامل في الظرف من قوله مُسْتَقِرّاً، وهذا المقدر أبداً في كل ظرف جاء هنا مظهراً، وليس في كتاب الله تعالى مثله".
76- ابن عاشور (1984)، مرجع سابق ج19 صص271-272 .
77- أبو حيان (1999)، مرجع سابق ج8 ص241.
78- ابن عاشور (1984)، مرجع سابق ج19 ص275.
79- ابن عاشور (1984)، مرجع سابق ج20 صص43-44.
80- أبو حيان (1999)، مرجع سابق ج8 ص272.
81- درويش (1994)، مرجع سابق ج7 ص263.
82- النحاس (2000)، أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، ج3 ص152.
83- ينظر في هذه الأقوال: أبو حيان (1999)، مرجع سابق ج8 ص277.
84- ابن عاشور (1984)، مرجع سابق ج20 ص58.